صعوبة التغيير

كل تغيير، وإن في سبيل الأفضل، محفوف بأوجه القصور وعدم الارتياح .فالعادات القديمة مستحكمة وشديدة الغيرة كما الإنسان. وكل تعديل جديد هو أزمة في مستوى احترام الذات.

كل حقيقة مستجدّة تبدأ ببدعة مروّعة. الولادة على جانب من العنف أكانت ولادة ابن لنا أم ولادة فكرة. كل حقيقة تفضي الى فضيحة بجلاجل. حتى في الأمور الطفيفة، لا تمرّ تجربة جديد ما بلا إثارة نذير. لا يحدث التغيير بلا إزعاج حتى عندما ننتقل من الأسوأ الى الأفضل. وكل تغيير، حتى الذي نتوق إليه ونصبو، ينطوي على نصيب من الكآبة لأن ما ندعه وراءنا هو جزء من كياننا؛ ينبغي لنا أن نستميت في حياة ما قبل أن نلج الى حياة أخرى.

أن نحقق عمل خير، هو روح وحياة وينبوع عطاء. يلتهب القلب بالحب والرحمة في الأيام الحالكات، فيحصل توارٍ في قلب الإنسان وصفاء وحدة لا إعتزال. أهل الخير في سرّهم فوق الأزمنة الرديئة. انهم واحة عزاء في صيام طويل. أن يغلبوا أنفسهم فيما العابثون بمقدراتهم كُثر، ذلك هو التحدي الإنساني الكبير. ولكن الحب من طرف واحد وهن في الواقعية ولربما حماقة .وعدونا يبقى أولئك الذين رفضوا ولما يزالوا فكرة الكرامة الإنسانية والتعاضد يعزز موقفهم هذا اننا عمليا جماعة خطابة وحماسة لم تدخل في طور علم الإنسان المبدع على صورة الله. متى يحصل التغيير الجذري المنشود والتوثب الثقافي أولا؟ هل يبلغ شأننا الثقافي يوما مرتبة يخاطب فيها العقل اليهودي المهيمن على العالم ولو بدرجات، فيحرره من تعصّبه وانقباضه وإلغائيته؟

د. جهاد نعمان، تكساس
أستاذ في المعهد العالي للدكتوراه

٤ نيسان ٢٠٢٣